المدينة الفاضلة المنيرة

ذات الاساسات

"بالايمان تغرّب ابراهيم فى أرض الموعد لأنه كان ينتظر
المدينة ذات الأساسات التى صانعها وبارئها الله"

(عب١١ : ١٠)

للقس اغسطينوس حنا

كلما زاد فى عالمنا هذا «الموضوع فى الشرير»، الشر والفساد والكساد والظلم والظلام والخروب والثورات والمآسى والأستبداد والارتداد، كلما تطلّعت أبصار وأفكار أولاد الله الى هذه المدينة الفاضلة الكاملة ذات الأساسات.

ففى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد جلس مُفكر عظيم يستعرض الظلام الذى يكتنف الوجود وبدأ يحلم بعالم أفضل هو عالم المُثُل والفضائل والكمالات، وصوّر له خياله دولة مثالية لا يظلم فيها الانسان أخاه بل يعيش الجميع فيها بمحبة ونزاهة واخاء ومساواة ... هذا هو أفلاطون فيلسوف اليونان الكبير ومؤلف كتاب «الجمهورية» الشهير الذى تنهار نظرياته أمام واقع وحقائق العالم المادية المعجونة بالنقص والضعف والفساد.

ثم فى أوائل القرن الخامس للميلاد، لما أقبلت جحافل البرابرة من شمال أوربا على مدينة روما - سيدة العالم وقتئذ - المتنعمة والمترفهة وهزمتها وكسرت كبرياءها، قام فيلسوف آخر وقديس عظيم وتصوّر مدينة مجيدة تبقى الى الدهر ثابتة لا تُهزم ولا تنهار، هذا هو القديس أغسطينوس أسقف هيبّو بشمال أفريقيا، وهذا كتابه «مدينة الله» الذى اتخذته الكنيسة الكاثوليكية فيما بعد دستوراً سارت عليه بحسبه قروناً طوالاً الى أن أدركها الضعف فى القرون الوسطى ... ومن بعد القديس أغسطينوس جاءت جمهرة من كبار المفكرين حول العالم مثل دانتى كاتب «الكوميديا الآلهية» وملتون الشاعرالملهم صاحب كتاب «الفردوس المفقود والفردوس المردود»، ويوحنا بنيان كاتب «سياحة المسيحى» الذى يعتبره البعض أعظم الكتب بعد الكتاب المقدس والمبنى على الكتاب المقدس .. لقد تاقت نفوس هؤلاء جميعاً الى عالم أفضل يسكنه البر ويسوده الأمن والسلام والعدالة والهدوء والطمأنينة وترفرف عليه السعادة الحقيقية.

أليس هذا ما اعتاد المفكرون العصريون أن يرددوه عن «عالم جديد» كانوا يظنون انه لابد آت بعد الحروب والكروب، وانه لابد أن يعود السلام والحرية والاستقرار وذهاب الخوف والفزع والقلق والاستفادة من دروس هذه الويلات ... ولكن مادامت الخطية سائدة ومتزايدة، هيهات أن تتحقق هذه المُثُل والأحلام على الأرض.

إذن فعلينا أن نبحث عن مدينتنا العتيدة التى يحدثنا عنها كتابنا الآلهى المقدس والتى وصفت بأنها المدينة المنيرة، والمدينة الفاضلة ومدينة الله والمدينة ذات الأساسات التى صانعها وبارئها الله نفسه ... والآن نتأمل فى أوصاف هذه المدينة الرائعة ومن هم شعبها، وكيف نتمتّع بجنسيتها.

أولاً- أوصاف هذه المدينة

١- حقيقية: إن هذه المدينة حقيقية وليست خيالية أو مجرد آمال وأحلام وأوهام، إذ لا يحدثنا الكتاب المقدس عن خيالات أو «خرافات مصنّعة» وانما عن حقائق آلهية موحى بها من الله ولا بد أن تتحقق كقول السيد المسيح «السماء والأرض تزولان وكلامى لا يزول» (مت٢٤ : ٣٥). «انها مدينة حقيقية ولكنها تفوق كل خيال كما هو مكتوب مالم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعدّه الله للذين يحبونه» (١كو٢ : ٩).

٢- مسكن الله مع الناس: يُحدثنا الكتاب المقدس فى مقدمة سفره الأخير - الرؤيا - وكذلك فى الأصحاحين الأخيرين منه، عن إعلان الرب يسوع «الصادق الأمين» الى عبده يوحنا الرسول الانجيلى بل وجميع عبيده عن مالابد أن يكون عن قريب، ويصف القديس يوحنا هذه المدينة العجيبة بقوله «ثم رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى قد

مضتا ... وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عندالله مهيأة كعروس مزّينة لرجلها. وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله يكون معهم إلهاً لهم ...» (رؤ٢١ : ١ - ٣).

ان أقصى تفكير وخيال الفلاسفة والقديسين لم يصل الى سر عظمة هذه المدينة المجيدة فى جمالها وكمالها وهو ما أعلنه لنا الوحى بأنها «مسكن الله مع الناس» وكفى!

٣- مدينة الأعياد: يصف الوحى الالهى على فم اشعياء النبى - من القرن الثامن قبل الميلاد - بعض اسرار عظمة هذه المدينة فى أفراحها وسعادة شعبها بقوله: «الملك ببهائهتنظر عيناك، أنظروا صهيون مدينة أعيادنا عيناك تريان اورشليم مسكناً مطمئناً .. بل هناك الرب العزيز لنا.. فإن الرب قاضينا. الرب شارعنا. الرب ملكنا هو يخلصنا» (أش٣٣ : ١٧ ، ٢٠ ، ٢٢).

فى العيد هنا يفرح الجميع ويحتفلون مع أحبائهم ويأخذون أجازة وراحة لمدة يوم، ولكل شعب فى الأرض عيدين أو ثلاثة أو خمسة فى السنة ثم يعودون الى شقائهم وتعبهم وهمومهم مرة اخرى! وأماّ هذه المدينة الفاضلة العجيبة فهى مدينة الأعياد الدائمة والأفراح التى لا تنتهى كما وصفها النبى أشعياء أيضاً بقوله: «يسلك المفديون فيها، ومفديو الرب يأتون اليها بترنم وفرح أبدى على رؤوسهم. ابتهاج وفرح يدركانهم، ويهرب الحزن والتنهدّ» (أش٣٥ : ٩ ، ١٠). ولذلك قال رب المجد يسوع المسيح بإعتباره صانع وصاحب ومِلك وقاضى ومشرع لهذه المدينة بأنه سيرحب ويستقبل كل واحد من رعاياه الأمناء بقوله «أدخل الى فرح سيدك» (مت٢٥ : ٢١ ، ٢٣). فرق كبير بين أن يفرح الانسان الى حين وبين أن يدخل الى الفرح الدائم والنعيم المقيم والسعادة الأبدية التى لا يشوبها كدر فى «مدينة الأعياد».

٤ - مدينة الأحياء: دُعيت هذه المدينة «بأرض الأحياء» (مز٢٧ : ٣)، وذلك تميزاً لها عن عالمنا الفانى الذى دخله الموت فأفسده ودمّره ودمغه بالفناء وجعله زائل وباطل الأباطيل (جا١ : ٢ ، ١٢: ٨). فيقول عنها فى سفر الرؤيا «والموت لا يكون فيما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت. وسيمسح اللهكل دمعة من عيونهم» (رؤ٢١ : ٤).

فشكراً للرب انه لن تمشى فى شوارع مدينة الخلود هذه أى جنازة ولا يوجد فيها مدافن لأن «آخر عدو يُبطل هو الموت» (١كو١٥ : ٢٦). وسيكون جميع سكان ومواطنى هذه المدينة من أبناء «الحياة الأبدية» المؤمنين بالمسيح والمفديين المتبررين بنعمته ودمه الذين جاءوا من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة والجالس على العرش يحل فوقهم ويرعاهم ويقتادهم الى ينابيع ماء حيّة (رؤ٧ : ٩ - ١٦).

٥ - المدينة المنيرة: يقول سفر الرؤيا «والمدينة لا تحتاج الى شمس ولا قمر ليضيئا فيها لأن مجد الله قد أنارها والحمل - المسيح الفادى - سراجها. وتمشى شعوب المخلّفين بنورها» (رؤ٢١ : ٢٣). ويضيف الأصحاح التالى مؤكداً «ولا يكون هناك ليل ولا يحتاجون الى سراج أو نور شمس لأن الرب الاله ينير عليهم وهم سيملكون الى أبد الآبدين» (رؤ٢٢ : ٥).

٦ - المدينة الذهبية العظيمة: يقول الرسول يوحنا فى رؤياه أن ملاكاً أخذه بالروح «وأرانى المدينة العظيمة اورشليم المقدسة لها مجد الله ولمعانها شبه أكرم حجر كحجر يشب بلّوْرى وكان لها سور عظيم وعال وكان لها إثنا عشر باباً وعلى الأبواب إثنا عشر ملاكاً ... وسور المدينة كان لها إثنا عشر أساساً .. وأساسات سور المدينة مزينة بكل حجر كريم ... وسوق المدينة ذهب نقى كزجاج شفاف» (رؤ٢١ : ١٠ - ٢١). فاذا كان الذهب من أغلى

وأقوى المعادن الكريمة فقد أراد الوحى الآلهى تقريب الحقائق الأبدية الى أذهاننا بلغتنا البشرية الرمزية فتحدث عن غنى ومجد المدينة السماوية بأن الذهب هناك تحت أقدام المؤمنين. وقد حدّثنا الكتاب عن «غنى المسيح الذى لا يستقصى» (أف٣ : ١٨). وعن «غناه فى المجد» (في٤ : ١٣)، وعن غنى مجد ميراثه فى القديسين» (اف١ : ١٨).

٧- المدينة الحصينة ذات الأساسات والأسوار:

وصفها اشعياء النبى الانجيلى بقوله: «لنا مدينة قوية. يجعل الخلاص أسواراً ومترسة. إفتحوا الأبواب لتدخل الأُمّة البارة الحافظة الأمانة. (أش٢٦ : ١). وورد عنها أوصافاً مشابهة فى كلمة الله مثل «المدينة الحصينة» والمدينة المحصنة، ومدينة الحق» (زك٨ : ٣)، «ومدينة الأمجاد» (مز٨٧ : ٣)، « ومدينة العدل» (أش١ : ٢٦) وأنها «مدينة الله الحى» (عب ١٢ : ٢٢). وأن ابراهيم أب المؤمنين «كان ينتظر المدينة التى لها الاساسات التى صانعها وبارئها الله (عب١١ : ١٠). إن تكرار عبارات «الأساسات والأسوار» فى المزامير ورسالة العبرانيين وسفر الرؤيا تُرينا عظمة هذه المدينة وقوّتها واستقرارها الأبدى وحمايتها وشعبها من كل «شر وشبه شر» بالمقارنة بمدن هذا العالم المضطربة والمعرّضة للخراب من الحروب والأعداء والزلازل والقلاقل.

٨- مدينة القداسة الكاملة:

يقول الرسول بطرس «اننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة واضاً جديدة يسكن فيها البر» (٢بط٣ : ١٣). فاذا كانت هذه مدينة الله القدوس مع الملائكة والقديسين فلابد ان تكون مدينة القداسة التى لا يدخلها دنساً وخارجاً الكلاب والزناة والسحرة والقتلة والكذبة» (رؤ٢١ : ٢٧ ، ٢٢ : ١٥).

تحدثا عن هذه المدينة العجيبة التى تفوق خيال أفلاطون والتى هى جزء من خطة الله منذ تأسيس العالم، وذكرنا بعض أوصافها التى أعلنها لنا كتابنا المقدس مثل كونها مدينة حقيقية - ومدينة الله - ومسكن الله مع الناس -ومدينة الأعياد - ومدينة الأحياء - والمدينة المنيرة - والمدينة الذهبية - والمدينة الحصينة ذات الأساسات والأسوار - ومدينة البر والطهر والقداسة والجمال والكمال ...

ونتحدث فى هذا المقال عن شعب المدينة المجيدة وأوصافه

١- «شعبك كلهم أبرار» (أش٦٠ : ٢١)

وصف أشعياء النبى الملهم بالروح القدس شعب هذه المدينة المجيدة بهذه الكلمات الرائعة «وشعبك كلهم أبرار»! قال أشعياء ذلك فى القرن الثامن قبل الميلاد، وقبل أفلاطون. عندما رأى أورشليم الأرضية تتعرّض لتهديد وغزو سنحاريب بجيوشه الجرارة لولا أن تداركتها مراحم الله وعنايته وأنقذها بمعجزة سماوية جبارة (أش٣٧). وأيضاً عندما أعلن له الوحى الآلهى أنها ستتعرض أيضاً لغزو وسبى أشر وأبشع على يد نبوخذ نصّر - الذى كان صدام حسين يفتخر بأنه جدّه وتصوّر أن سيعيد أمجاده بالتوسع عن طريق الحرب والقسوة والظلم والطمع وإذلال الشعوب المجاورة - لذلك نقله الرب بإعلان روح الله إلى عصر ذهبى مجيد ليرى اورشليم الجديدة الخالدة وينظر بتلسكوب النبوّة شعبها المبارك السعيد يكتسى بثياب البرّ فهتف قائلاً «وشعبك كلهم أبرار».

فكان أهم صفة يتميّز بها شعب هذه المدينة الفاضلة المنقطعة النظير هو البر الذى يتمتع به كل شعبها. وفى نفس المعنى يقول الرسول بطرس فى العهد الجديد أن الأرض الحالية الملوثة

بالشر والفساد والظلم سوف تحترق وتزول ولكننا بحسب وعده نتظر سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر» (٢بط٣ : ١٣).

والبر فى الكتاب المقدس يعنى أمرين:

الأول من الناحية السلبية هو الخلو من الخطية والتحرر من الإثم الذى افسد طبيعة الانسان بعد السقوط.

والبر من الناحية الإيجابية يعنى التمتع بالطبيعة الروحية الجديدة المقدسة. بخلاص المسيح وعمل نعمته بالروح القدس من خلال الإيمان والمعمودية أى الولادة من الله. ولبس رداء البر والخلاص أو ثياب العرس كما يتضح من هذه الآيات الكتابية المذكورة فى العهدين القديم والجديد:

+ يقول الوحى الإلهى على لسان اشعياء النبى «فرحاً أفرح بالرب. تبتهج نفسى بآلهى لأنه قد ألبسنى ثياب الخلاص. كسانى رداء البر ...» (أش٦١ : ١٠).

+ كلكم الذين أعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل٣ : ٢٧).

+ «أنتم بالمسيح يسوع الذى صار لنا من الله حكمة وبراً وقداسة وفداء» (١كو١ : ٣٠).

+ «لأنه إن كان بخطية الواحد (آدم) قد ملك الموت. فبالواحد (المسيح آدم الثانى) بالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح» (رو٥ : ١٧).

+ «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدّمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار برّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة (رو٣ : ٢٤).

+ «كما بمعصية الواحد (آدم) جُعل الكثيرون خطاه. هكذا أيضاً بإطاعة الواحد (المسيح) سيُجعل الكثيرون أبراراً» (رو٥ : ١٩).

+ «وسمعت كصوت جمع كثير وكصوت رعود شديدة قائلة هللويا فإنه قد ملك الرب الاله القادر على كل شئ. لنفرح ونتهلل ونعطيه المجد لأن عرس الحَمَل قد جاء وامرأته هيأت نفسها وأُعطيت أن تلبس بزاً نقياً بهياً لأن البز هو تبررات القديسين» (رؤ١٩ : ٦-٨).

٢ - "الشعب الساكن فيها مغفور الإثم" (أش٣٣)

ان أُلوف أُلوف وربوات ربوات سكان المدينة الفاضلة ذات الأساسات كلهم مغفورى الإثم. لقد وُصف هؤلاء السكان الأبرار والقديسون بأنهم «جمع كثير لم يستطع أحد أن يعدّه». كانوا أقلية فى العالم اولئك الذين دخلوا من الباب الضيّق وساروا فى الطريق الكرب. طريق الصليب. وعاشوا «معتازين مكروبين مذلّين وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم» (عب١١ : ٣٧ ، ٣٨).

إن ملايين سكان هذه المدينة الأبرار كانوا على الأرض من كل الأجيال والقارات خطاة. ولكنه إغتسلوا وتبرروا وتقدسوا بإسم الرب يسوع وبروح الله (١كو٦ : ١١). لقد غفرت لهم الخطايا من أجل اسمه. وهذا الغفران هو أول ثمار التبرير بدم المسيح حسب شرح الرسول بولس فى الأصحاحين الثالث والرابع من رسالة رومية طوبى لمن غفر إثمه وسترت خطيته» (رو٤ : ٦ ، مز٣٢ : ١).

وقد وصف وشرح ذلك الرسول يوحنا فى رؤياه بصورة عملية رائعة فى قوله: «بعد هذا نظرت واذا جمع كثير لم يستط أحد أن يعدّه من كل الأُمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفين امام العرش وأمام الحمل (المسيح) متسربلين

بثياب بيض وفى أيديهم سعف النخل وهم يهتفون الخلاص لالهنا ... هؤلاء هم الذين اتوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا ثيابهم وبيضوها فى دم الحمل» (رؤ٧ : ٩-١٥).

٣- «لا يقول ساكن أنا مرضت» (أش٣٣ : ٢١)

لقد كانت الخطية هى سبب كل المصائب واللعنات التى حلّت بالبشرية، وبزوالها بدم المسيح وصنع الفداء والخلاص قد زالت جميع هذه اللعنات ومنها المرض. ما أصعب وأمرّ الأمراض التى أذلّت الانسان وعذبته على الأرض. ولكن شكراً لله الذى حررنا منها «ولا تكون لعنة فيما بعد» (رؤ٢٢ : ٣) «ولا يكون موت ولا حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد لأن الأمور الأولى مضت» (رؤ٢١ : ٤).

فاين أمراض السكر والسرطان؟ وأين الضغط والمصران؟ أين القلب والقرحة؟ وأين الروماتيزم والذبحة؟ لن يحتاج سكان هذه المدينة الى مستشفيات وعمليات وجراحات ولا الى اسبرين أو تايلينول ولا مسكّنات. هناك رؤوس بلا دوار وقلوب بلا إنكسار «ولا يقول ساكن أنا مرضت!».

٤- «يكون الجميع متعلمين من الله» (يو٦ : ٤٥)

هذه الآية نطق بها رب المجد يسوع المسيح مقتبساً اياها من العهد القديم وقال: «انه مكتوب فى الأنبياء ويكون الجميع متعلمين من الله». انها توضح هذه الحقيقة أن يكون جميع سكان هذه المدينة الفاضلة متعلمين من الله، وهى تتفق مع المنطق السليم والبديهيات. كما انها تتفق مع آيات أخرى كثيرة كقول الرسول بولس «اننا ننظر الآن فى مرآة فى لغز، لكن حينئذ وجها لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عُرفت» (١كو١٣ : ١٢).

ويقول الرسول يوحنا «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم انه حين يظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١يو٣ : ٢). ومن هذا القبيل أقوال الرب يسوع «متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق» (يو١٦ : ١٢ ، ١٣). وأيضاً قول الرب لنيقوديموس «أنت معلم اسرائيل ولست تعلم هذا؟ الحق الحق أقول لك أننا انما نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا ... ان كنت قد قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون ان قلت لكم السماويات» (يو٣ : ١٠-١٢).

هذا وقد رأينا صورة مصغرة لذلك من تعلّم رسل المسيح العاميين غير المتعلمين هذه الحكمة الباهرة التى ظهرت فى تعاليمهم ورسائلهم، بل وكيف تعلموا كل هذه اللغات فى يوم الخمسين عندما حل الروح القدس عليهم وملأهم فتكلموا بطلاقة بخمسة عشر لغة جديدة لم يتعلموها (أع٢ : ١-١١)!.

وفى نفس المعنى قال القديس يوحنا المعمدان مقارناً نفسه بالسد المسيح «الذى من الأرض هو أرضى ومن الأرض يتكلم. والذى يأتى من السماء هو فوق الجميع» (يو٣ : ٣١ ، ٣٢). اننا هنا على الأرض كثيراً ما نتساءل أسئلة كثيرة لا نعرف لها اجابة، سواء التى سكت الكتاب عنها أو التى تتعلق بالحياة بعد الموت. ومن أمثلة ذلك:

١ - أين وكيف قضى السيد المسيح حياته من سن ١٢ الى سن ٣٠؟

٢ - لماذا سمح الله بذبحة أطفال بيت لحم؟ وكثير من أسئلة الكتاب ...

٣ - ما حكم الطفل الذى يموت قبل أن يتعمد سواء أكان من أُسرة مسيحية أو أسلامية أو وثنية؟

٤ - هل الطفل الذى يموت طفلاً أو رضيعاً سيكبر وينمو فى السماء أم سيظل هناك طفلاً

٥ - هل سيكون هناك لغات فى السماء أم لغة واحدة وما هى؟

٦ - ماذا سيكون عمل المؤمنين المفديين فى السماء؟

٧ - هل جهنم حرفية من نار أبدية وكبريت ودخان ودود لا يموت؟ أم هى معنوية من الحرمان من الله ومن كل راحة وسعادة وعذاب ضمير؟

٨ - كيف ستكون الدينونة الأخيرة وهل سيقف بلايين البلايين من البشر أمام عرش المسيح الديان العادل للحساب بطريقة المحاكم الحالية. أم انها ستتم فى دقيقة واحدة (كما يستفاد من متى٢٥ : ٤١ : ٤٦). أو من قوله «الذي يؤمن به لايُدان والذى لايؤمن به قد دِين» (يو٣ : ١٨).

٩ - لماذا سمح الله بقتل الأشرار لكبار القديسين مثل يوحنا المعمدان واستفانوس ويعقوب بن زبدى وأمثالهم كثيرين جداً. مبكراً أو فى بدء خدمتهم رغم شدة احتياج العالم والكنيسة اليهم؟

١٠ - لماذا صبر الله على الطغاة أمثال نيرون ودقلديانوس ومحمد وهتلر وستالين وبن لادن. الذين قتلوا وعذّبوا وظلموا وتسببوا فى هلاك الملايين ؟

اننا هنا مهما تعلمنا سنظل جهلاء بـ ٩٩٪ من علوم الأرض وبالأولى بالسماويات. ولكن من نعم الله على اولاده المفديين سكان المدينة الفاضلة. أن الجميع سيكونون «متعلمين من الله».

٥ - "ليكن سلام فى أبراجك" (مز١٢٢ : ٧)

من أهم أوصاف المدينة الفاضلة وشعبها أنها مدينة السلام وأن شعبها يتمتع بسلام الله الكامل «الذى يفوق كل عقل».

فليس عندهم مايزعج أو يكدر صفو هذا السلام. ليس فيها حروب ولا كروب. ويتحدث النبى الاخيلى اشعياء المبارك قائلاً عن ذلك انه فى آخر الأيام يكون جبل بيت الرب ثابتاً وتجرى اليه كل الأمم ... فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل. لا ترفع أُمة على أُمّة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد» (أش٢ : ٢-٤). ومن عجب أن يوحى الرب الى نبى آخر هو ميخا نفس هذه النبّوة السابقة حرفياً (ميخا٤).

وتوجد أوصاف رمزية اخرى للسلام فى نبوة اشعياء كقوله «فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى. والبقرة والدبة ترعيان. والأسد كالبقر يأكل تبناً ... لا يسوؤن ولا يفسدون فى كل جبل قدسى لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تُغطى المياة البحر» (أش ١١: ٦-٩).

ويقول داود النبى «ليكن سلام فى أبراجك. راحة فى قصورك» (مز١٢٢ : ٧). ويقول سليمان «تحمل الجبال سلاماً للشعب والآكام بالبر» (مز٧٢ : ٣). ويعبر سليمان أيضاً بأسلوبه الشعرى الجميل عن هذا السلام والجمال والحب والهدوء فى سفر نشيد الأناشيد بقوله عن المجئ الثانى للعريس السماوى المسيح فوق السحاب والجبال «صوت حبيبى هوذا آت ظافراً على الجبال ... قومى يا حبيبتى يا جميلتى وتعالى. لأن الشتاء قد مضى والمطر مرّ وزال. بلغ أوان الحصاد وصوت اليمامة سُمع فى أرضنا» (نش٢ : ٨-١٣). ويقصد بمضى الشتاء انتهاء أوان العواصف والأعاصير والغيوم ومعروف أن اليمام والحمام هما رمز السلام.

يتمتع شعب المدينة ذات الأساسات بالسلام لأنهم شعب «ملك السلام» «ورئيس السلام» وإذ قد تبررنا بالايمان لنا سلام مع الله» (رو٥ : ١). ومن الآيات العجيبة فى هذا المجال قول النبى اشعياء

«الشعب الشرس لا ترى. الشعب الغامض اللغة عن الادراك العىّ بلسان لا يُفهم» ثم يضيف «قلبك يتذكر الرعب!» (أش٣٣ : ١٨ ، ١٩). لن يدخل المدينة الفاضلة الشرسون والسلفيون والمنافقون والشتامون والبلطجية والثعالب وأولاد الأفاعى الذين يحللّون الكذبوالغش الذين «حنجرتهم قبر مفتوح. بألسنتهم قد مكروا. سُم الأصلال تحت شفاههم. أرجلهم سريعة الى سفك الدم. فى طرقهم اغتصاب وسحق وطريق السلام لم يعرفوه» (رو٣ : ١٣-١٧).

ولذلك يقول نفس النبى «لأنه هكذا قال الرب ها انذا أُدير عليها سلاماً كنهر ... وكأنسان تعزيه أُمه هكذا أُعزيكم أنا وفى اورشليم تُعزون» (أش٦٦ : ١٢).

٦- " وتكونين إكليل جمال بيد الرب" (أش٦٢ : ٣)

ان شعب المدينة الفاضلة ذات الأساسات يتمتع بجمال النعمة والخلاص ومكتوب أن الرب «يُجمل الودعاء بالخلاص» (مز١٤٩ : ٤). ان لهم الجمال الملائكى الذى لن يذبُل. ألم ير وحوش المجمع الشرسون وجه استفانوس «وكأنه وجه ملاك» (أع٦ : ١٥). ان الذين تمتعوا بجمال النعمة والطهارة والفضائل المسيحية على الأرض يستحقون وعد الرب «وتكونين أكليل جمال بيد الرب وتاجاً ملكياً بكف الهك. وكفرح العريس بالعروس يفرح بك الهك» (أش٦٢ : ٣ ، ٥).

ويقول النبى حزقيال «ووضعت تاج جمال على رأسك ... وجمُلت جداً جداً فصلحت لمملكة وخرج لك اسم فى الأمم لجمالك لأنه كان كاملاً ببهائى الذى جعلته عليك يقول السيد الرب» (حز١٦ : ١٢، ١٤).

٧- الفاهمون والغالبون

يختم سفر دانيال النبى بهذه الآية الرائعة انه فى القيامة يستيقظ البعض للحياة الأبدية والبعض للعار والازدراء الأبدى. ثم يقول: «والفاهمون يضيئون كضياء الجلد والذين ردوا كثيرين الى البر كالكواكب الى أبد الدهور» (دا١٢ : ٢ ، ٣).

ويقول السيد المسيح فى سفر الرؤيا بالمزيد من التطويبات للغالبين الذين غلبوا بدم المسيح وكلمة شهادتهم وتضحياتهم. الشيطان والخطية والعالم «من يغلب فسأُعطيه ان يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله» (رؤ٢ : ٧). وأن «من يغلب فلا يؤذيه الموت الثانى» (رؤ٢ : ١١). «ومن يغلب سأُعطيه سلطاناً على الأُمم» (رؤ٢ : ٢٦). و «من يغلب فذاك سيلبس ثياباً بيضاً ولن أمحو أسمه من سفر الحياة وسأعترف باسمه أمام أبى وأمام ملائكته» (رؤ٣ : ٥) ... وأخيراً قال: « من يغلب فسأُعطيه أن يجلس معى فى عرشى كما غلبت أنا وجلست مع أبى فى عرشه» (رؤ٣ : ٢١). نعم أن سكان المدينة الفاضلة ذات الأساسات هم «الذين يعظم انتصارهم بمن أحبهم وأحبوه فشكراً لله الذى يقودنا فى موكب نصرته فى المسيح فى كل حين» (٢كو٢ : ١٤).

تحدثنا عن هذه المدينة الآلهية المثالية الرائعة وبعض أوصافها. ثم عن شعب هذه المدينة وصفاته ونتابع فى هذا العدد تكملة صفات هذا الشعب.

صفات شعب هذة المدينة

ذكرنا فى عدد يناير ٢٠١٢ أن شعب هذه المدينة السماوية «كلهم أبرار» (أش٦٠ : ٢١). وكلهم «مغفورى الأثم» وكلهم أصحاء إلى الأبد «لا يقول ساكن هناك أنا مرضت» (أش٣٣ : ٢٤). وكلّهم «متعلمون من الله» (يو٦ : ٤٥). وكلهم ينعمون بالسلام الدائم (مز١٦ : ١٢ ، ١٤). ويكونون «إكليل جمال بيد الرب» (أش ٦٢ : ٣ ، حز١٦ : ١٢ ، ١٤). ويكونون من الحكماء الفاهمين الذين

يضيئون كالكواكب إلى أبد الدهور (دا ١٢ : ٢ ، ٣). ومن الغالبين المنتصرين على الخطية والعالم والشيطان (رؤ٢ : ٧ ، ١١ ، ٣: ٥ ، ٢١). ونضيف فى هذا المقال بعض الصفات الاخرى التى لم يتسع لها العدد السابق وهى:

٨- دوام الفرح والبهجة والتعزية بلا كدر

يقول الرب «لأنى هأنذا خالق سموات جديدة وأرضاً جديدة فلا تذكر الأُولى ولا تخطر على بال. بل إفرحوا وإبتهجوا إلى الأبد فيما أنا خالق، لأنى هأنذا خالق اورشليم بهجة وشعبها فرحاً، فأبتهج باورشليم وأفرح بشعبى. ولا يسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ» (أش ٦٥ : ١٧-١٩). ويقول أيضاً «ومفديو الرب يأتون بترنّم وفرح أبدى على رؤوسهم. ابتهاج وفرح يدركانهم ويهرب الحزن والتنهدّ» (أش٣٥ : ١٠ ، أش٦٦ : ١٠ ، ١١). ويصف القديس يوحنا الرسول فى رؤياه «جمعاً كثيراً فى السماء قائلاً هللويا. الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب آلهنا

قد ملك الرب الاله القادر على كل شئ. فلنفرح ونتهلل ونعطيه المجد لأن عُرس الحَمَل قد جاء .. طوبى للمدعوين إلى عشاء عُرس الحَمَل» (رؤ١٩ : ١-٩). «انه فرح لا يُنطق به ومجيد» (١بط١ : ٨).

٩- شعب المدينة لا يزيد ولا ينقص!

إن شعب المدينة الفاضلة الذى قيل انه كثير «لم يستطيع أحد أن يعدّه» (رؤ٧ : ١٤). هذا الشعب يتمتع بخاصية عجيبة وغير معروفة فى هذا العالم، وهى أن عدده لا يزيد ولا ينقص!! وذلك لأنه لا يموت أحد منه وبالتالى فلا يولد أحد هناك، لأن المواليد فى عالمنا كانوا ضرورة لإستمرار الحياة على أرضنا للتعويض عمّن يموتون.

وهذا بالأضافة الى أن الشعب المبارك الذى حُسب أهلاً للحياة الأبدية ليس له جسد من لحم ودم وعظام وأجساد مادية كما لنا فى هذا العالم، ولكنه سيحصل على جسد روحانى نورانى على صورة جسد مجد المسيح بعد قيامته (فى٣ : ٢١ ، ١كو١٥ : ٣٥-٥٥).. جسد ملائكى كما قال رب المجد موبخاً جماعة الصدوقيين «تضلوُن اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله، لأنهم فى القيامة لا يزوّجون ولا يتزوجون بل يكونون كملأكة الله فى السماء» (مت٢٢ : ٢٩).

١٠- لقاء الأقرباء والأصدقاء المخلّصين

من دواعى الفرح الغامر للمفديين والمخلّصين فى السماء اجتماع الأهل والأقرباء والأصدقاء المؤمنين من أولاد الله معاً مرة اخرى بعد أن فرقهم الموت على الأرض وودّعوا بعضهم بعضاً بالألم والحزن والبكاء والدموع. فأى فرح أعظم من هذا أن تلتقى الأُم بزوجها أو والديها أو أولادها الذين فقدتهم بالموت فى الحرب أو بالمرض، او فى حوادث أو اضطهاد أو تعذيب واستشهاد!

ومما يضاعف هذا الفرح، لقاء المؤمنين «من كل أُمة وقبيلة وشعب ولسان» (رؤ٧). وليس ذلك فقط وإنما اللقاء مع مشاهير الأنبياء والرسل والقديسين والشهداء من بدء الخليقة الى نهاية العالم من جميع الأجيال، فياله من لقاء تاريخى مفرح ومجيد قيل عنه فى سفر الرؤيا «وتمشى شعوب المخلّصين بنورها وملوك الأرض - أى أولاد الله أو الملوك الصالحين - يجيئون بمجدهم وكرامتهم اليها» (رؤ٢١ : ٢٤). يضاف الى ذلك الفرح برؤية الملائكة ومصاحبتهم والأقامة معهم. وأعظم فرح سيكون برؤية رب المجد يسوع المسيح نفسه وجهاً لوجه والتمتع به فى مجده (يو١٧ : ٢٤).

يتساءل البعض أحياناً قائلين «هل ستحزن الأم مثلاً أو الأب هناك اذا ضلّ أحد أولادهم الطريق وحُرم من هذا المجد وذهب الى الجحيم؟

والأجابة التى يؤكدها الكتاب المقدس انه لا حزن هناك ولا تنهد مطلقاً فإما ان الله سينسيهم ذكر الهالكين أو انهم سيمجدون عدل الله على أساس ان ذلك الضال الذى هلك سبق أن أنذروه ووعظوه مراراً ووصلته رسائل خلاصية كثيرة من الله فرفضها واستهان بها وأهملها. ويقول الكتاب «كيف ننجو نحن أن أهملنا خلاصاً هذا مقداره» (عب٢ : ٣).

١١- مختارون من قبل تأسيس العالم!

هذه حقيقة مذهلة أن هؤلاء الملايين أو البلايين من المؤمنين المفديين بدم المسيح - سواء الذين جاءوا بعده أم الذين آمنوا على رجاء مجيئه جميعهم كانوا مُعينين ومدعوين ومختارين من الله من قبل ميلادهم بل ومن قبل تأسيس هذا العالم!! ومع أن موضوع الاختيار هو سرّ آلهى يفوق عقولنا وربما كان صعباً علينا إدراك تفاصيله (وهو ليس موضوعنا الآن)، إلا أن الكتاب المقدس قد ألقى عليه بعض الضوء كما يتبين من الآيات المقدسة التالية:

١) «... الذين يحبون الله هم مدعوون حسب قصده. لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعيّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين. والذين سبق فعيّنهم هؤلاء دعاهم أيضاً. والذين دعاهم فهؤلاء برّرهم أيضاً. والذين برّرهم فهولاء مجدهم أيضاً» (رو٨ : ٢٨ : ٣٠).

٢) «لأن كثيرين يُدعون وقليلين ينتخبون» (مت٢٢ : ١٤).

٣) «وآمن جميع الذين كانوا مُعينين للحياة الأبدية» (أع١٣ : ٤٨).

٤) وعندما تحدث السيد المسيح بروح النبوة واعلان الضيقات التى ستحدث فى الأيام الأخيرة التى تسبق مجيئه الثانى لدينونة العالم. قال: «ولو لم تُقصّر تلك الأيام لم يخلص جسد. ولكن لأجل المختارين تُقصّر تلك الأيام» (مت٢٤ : ٢١ ، ٢٢).

٥) «لذلك اجتهدوا أيها الاخوة أن تجعلوا دعوتم واختياركم ثابتين. لأنكم إن فعلتم هذا لن تزلّوا أبداً. لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول الى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى» (٢بط ١ : ١٠ ، ١١).

٦) «كما أختارنا فيه - المسيح - قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه. إذ سبق فعّيننا للتبنّى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسّرة مشيئته» (اف١ : ٤).

٧) «ساعد هاتين اللتين جاهدتا معى فى الانجيل مع باقى العاملين معى الذين أسماؤهم فى سفر الحياة» (فى٤ : ٣).

٨) «معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله» (أع١٥ : ١٨).

٩) وقال رب المجد يسوع المسيح أيضاً فى وصف مجيئه الثانى «وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء (أى الصليب) وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير. فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات الى أقصاها» (مت٢٤ : ٣٠ ، ٣١).

١٠) وقال السيد المسيح أيضاً له المجد انه فى اليوم الأخير. فى الدينونة. سيقول للأبرار الذين عن يمينه «تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المُعدّ لكم منذ تأسيس العالم» (مت٢٥ : ٣٤).

١١) «فسيسجد له (الوحش) جميع الساكنين على الأرض الذين ليست أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم فى سفر الحياة» (رؤ١٣ : ٨).

١٢) «وسيتعجّب الساكنون على الأرض الذين ليست أسمائهم مكتوبة فى سفر الحياة منذ تأسيس العالم» (رؤ١٧ : ٨).

١٣) «ان الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق» (٢تس٢ : ١٣).

١٤) «عالمين أيها الاخوة المحبوبون من الله اختياركم» (١تس١ : ٤).

١٥) وقال فى موضوع اختيار الرب ليعقوب ورفضه لعيسو «لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلاً خيراً أو شراً لكى يثبت قصد الله حسب الأختيار ..» (رو٩ : ١١).

١٦) «حصلت بقية حسب اختيار النعمة» (رو١١ : ٥)

١٧) «سلموا على روفس المختار (رو١٦ : ١٣).

١٨) «سيقوم أنبياء كذبة ويُعطون آيات عظيمة حتى يُضلوا ولو أمكن المختارين أيضاً» (مت٢٤ : ٢٤).

١٩) وقال السيد عن شاول الطرسوسى «لأن هذا لى إناء مختار» (أع٩ : ١٥).

٢٠) «أفلا ينصف الله مختاريه ...» (لو١٨ : ٧).

٢١) «من سيشتكى على مختارى الله ...» (رو٨ : ٣٣).

٢٢) «فالبسوا كمختارى الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ...» (كو٣ : ١١).

٢٣) «لأجل ذلك أنا أصبر على كل شئ لأجل المختارين لكى يحصلوا هم أيضاً على الخلاص الذى فى المسيح يسوع مع مجد أبدى» (٢تى٢ : ١٠).

٢٤) «ليس أنتم اخترتمونى بل أنا الذى اخترتكم ...» (يو١٥).

هذه مجموعة من الآيات التى تتحدث عن الاختيار الآلهى أو اختيار النعمة للمؤمنين بالمسيح والمدعوين الذين قبلوا دعوته ومحبته وخلاصه وفداءه - ويرجع هذا الاختيار الى علم الله السابق لأن الله يعلم المستقبل منذ البدء، وليس عنده ماض وحاضر ومستقبل ولكن الكل حاضر وظاهر ومكشوف أمامه.

وهذا الاختيار متبادل فنحن اخترنا المسيح وهو اختارنا.

ان اختياره لنا سابق طبعاً على اختيارنا له، لأن اختياره لنا كان من قبل تأسيس العالم ... أو كما يقول قداسة البابا شنوده «أننا من قبل أن نولد كنا فى عقل الله فكرة وفى قلبه مسرّة»! وكلما تعمّق فينا فكر الاختيار الآلهى العجيب هذا رغم عدم استحقاقنا امتلأنا بفرح الرجاء وحذرنا الزلل» (٢بط١: ١٠)

١٢) كنيسة أبكار وأرواح أبرار مُكملّين

واخيراً وليس آخراً، فإن من أوصاف شعب هذه المدينة الفاضلة ذات الأساسات، أنهم ينضمون الى مدينة الله الحى اورشليم السماوية وربوات - أى عشرات الآلاف - هم محفل ملائكة، وكنيسة أبكار مكتوبين فى السموات، والى الله ديان الجميع، والى أرواح أبرار مُكمّلين والى وسيط العهد الجديد يسوع» (عب١٢ : ٢٢-٢٤).

ان شعب هذه المدينة كاملين ومُكمّلين ببر وكمال خالقهم وفاديهم وعمل نعمته الذى خلقهم خليقة جديدة مقدسة تستطيع أن تعاين مجده.

St. John
Coptic Orthodox Church
Covina, CA

Tel. (909) 592-8847
(562) 900-2695

Email: frhanna@mystjohn.org
Website: www.mystjohn.org